سيناريو مكافحة حريق في منـــزل

تتوقف مواجهة حادث حريق مفاجىء في منزل على أربعة عوامل :

١-الاستعداد النفسي (ترويض النفس أن الحياة لا تخلو من حدث قد يُفاجأ به الإنسان في أي لحظة لا يعلم توقيتها).

٢-قدرة الاستجابة الأولية السريعة الموجبة.

٣-رباطة جأش مع خفة حركة.

٤-تحديد مهام {توزيع مسئوليات} أفراد الأسرة.

١ - الاستعداد النفسي المسبق:

أي تركيز فكرة احتمال وقوع حريق في أي لحظة بالمنزل، والتشديد على صعوبة الموقف خاصة إذا كان أفراد الأسرة في حالة استرخاء نهاري أو نوم عميق ليلي؛ ليدرك كل فرد فيها أنه معرَّض لمثل حادث حريق، يمكن أن يتورط فيه ويُدخله في مأزق قد يُودي بحياته أو حياة أحد أفراد أسرته، ليتكون لديه سؤال :كيف السبيل إلى التعامل معه والخروج منه بسلام؟

٢ - القدرة على الاستجابة الأولية:

يستطيع كل فرد أنْ يكرس في نفسه أن عليه أنْ يواجه مثل هذا الحدث بقدر من السرعة؛ ليتفاعل معه بإيجابية؛ فالاستجابة الأولية للحادث على قدر كبير من الأهمية؛ فإن لم تكن كذلك فستكون استجابة سالبة، وهو ما يعني ارتباكًا وعشوائية، مما يزيد الوضع تعقيدًا، وقد تفضي إلى ما هو أسوأ من الحادث نفسه.

٣- رباطة جأش {ضبط الأعصاب}:

حوادث الحريق عادة ما تكون مرعبة، فإن قوبلت بسرعة حركة ومواجهة عاجلة برباطة جأش وخفة في اتخاذ القرار المناسب وعدم تردد؛ كي لا يستولي الخوف على النفس ويبدو الشخص مترددًا خائرا مما يبطئ بالعزم على المواجهة فسوف تتضاعف شراسته. إذ إن النار تتصاعد شدتها بدرجات مضطردة ففي كل لحظة هي في طور ، فإذا حسبنا كم من لحظة في الثانية فسيكون التصاعد متواليًا والتراجع أمامه متباطئًا وهذا يفسر سبب انتشار الحرائق بسرعة فائقة حال التباطؤ.

فالحريق إذ شبَّ في اللحظة الأولى قد يكون على شكل وميض أو شرارة أو شعلة على قدر شعلة عود الكبريت يمكن السيطرة عليها وفي اللحظة التالية أشد من الأولى، والثالثة أمضى، والرابعة أشد وأقوى، ففي لحظات معدودة تستعر النار وترتفع درجة الحرارة وتتصاعد ألسنة اللهب، فإذا ما تم مبادرة السيطرة عليه في اللحظة الأولى فإن الفرصة مهيأة للقضاء عليه في مهده، وإلا تضاءلت الفرصة .

وبعد مرور عدة لحظات قد يتعذر السيطرة عليه بسهولة ، مما يجعله في حال قابل للانتشار إذا لم يكبح في حينه مما يستوجب عدم التردد، وليتدخل بدراية وقوة مواجهة محسوبة ومن ارتبك وتردد فالعشوائية قرينةٌ له بفعل الخوف الذي ينتابه لا يتحكم في ضبط انفعالاته. مثال ذلك: تصور شخصًا جالسًا في صالة بيته منشغلاً في متابعة مشهد تلفزيوني أو قراءة كتاب وفجأة ينفجر جهاز كهربائي فيصيبه الفزع فيتناول إناءَ ماء قريب منه ليصبه عليه ظنًّا منه أنه سينطفىء، عندها سيسرى تيارٌ كهربائيٌّ أكثر

حدة، وهو فعل عشوائي عفوي أملاه الفزع. أو ربة بيت تغلي بعض الأطعمة في مقلاة على النار يندلع فيها اللهب تسارع إلى صبِّ كأس بيدها، فيزداد لهيب النار، وهو تصرف عشوائي تلقائي بحكم الخوف.

٤- تحديد مهام {توزيع مسئوليات} أفراد الأسرة:

جرت سنة الأرض أن رب الأسرة هو الذي يدير شؤون منزله، ففي حوادث الحريق عادة تنشأ حالة غير عادية لو تصرف كلٌّ واحد حسبما يراه لماج الحال وضاعت رزانة التصرف مما يفترض أن توزع الأدوار مسبقًا تحسُّبًا لذلك بحيث يخصص لكل فرد دور محدد كي تتكامل الأدوار في وقت واحد لإخماده بأقصى ما يمكن قبل أنْ يتحول إلى أطوار متقدمة يصعب التدخل فيها.

مثلًا: يُكلف شخص بالإسراع لقفل قاطع الكهرباء الرئيسي {السكينة}إن لم تكن مهيأة للقطع الآلي وآخر يفتح الباب الرئيسي، وثالث يتناول طفاية الحريق، ينزع مسمار الأمان ويتوجه إلى موضع الحريق في بدايته، ويوجه خرطوم الطفاية مع الضغط على المقبض لتندفع المادة بداخلها مباشرة؛ لإخمادها في مهدها، (في الأسواق تقنية جديدة لطفايات حريق خفيفة الوزن يكفي رميها على موضع النار تطفئها أو تحد من توهجها لترمى أخرى وهكذا). وهذا يتطلب إجراء تجربة عملية عليها من قبل،ثم آخر يقوم بتبليغ الدفاع المدني، ومنْ يحمل كشافًا للإضاءة؛ تحاشيًا للظلمة.

وهنا يأتي دور الأب أو كبير الأسرة ليقوم بدور الملقِّن والمذكِّر، فينادي كلاًّ باسمه، يذكرهم ليقوم كلّ بدوره، ويوجه أفراد الأسرة بنقاط التجمع، فإن كان الحريق في الدور العلوي عليهم التوجه إلى السطوح، وإن كان في الدور الأسفل عليهم التوجه إلى

الحوش، ويُذكرهم بإمكانية استخدام مناديل أو قطع من القماش مبللة؛ لوضعها على الأنف والفم تفاديًا لاستنشاق الأدخنة المتصاعدة.

كل ذلك لن يأتي من فراغ، بل لا بد أنْ تجرى له تجربة، قد يستصعب بعضهم هذه النقاط متكلًا على الجهات المسؤولة. نعم هي بالفعل مكان الاتكال بعد الله، لكن ضع في حسابك أن الدفاع المدني ليس إلا آليات تتحرك تبعد أو تقرب مقارها عن منزلك، ثم هي تمر بشوارع قد تكون مزدحمة أو قد لا تكون الطرق ميسَّرة بما فيه الكفاية. البعض يتصور أنها ستصل إليه بمجرد ما يضع سماعة الهاتف أو الجوال وينتهي من البلاغ مستبعدًا تلك الأحوال. فهي على أقل تقدير لكي تصل إليك تستغرق بعض الوقت، هذا الوقت تتضاعف فيه شدة الحريق. فليس بالإمكان وضع فرقة إطفاء في زاوية كل بيت أو شارع؛ لأن الشخص الذي يداهمه حريق يفترض أنه بمجرد التبليغ ستصل فرقة الإطفاء دون أنْ يحسب حساب الطريق والوقت الذي تستغرقه للعبور (أما الفرق المنتقلة –كتجربة شخصية– فهم أشد حرصًا على الوصول في الوقت المناسب لكنه ليس بالإمكان أفضل مما كان)، وليس كما يحسبها المبلِّغ الذي يكون حاله مستنفرًا بفعل الحريق الذي أحاط به، يحسب الثانية بساعة ؛ لفرط شعوره من الخوف والهلع.

إذن: إجراء تجربة بسيطة وتوزيع مهام واستعداد مسبق كفيل – "بإذن الله"– باحتواء أولي للحدث على الأقل، إخلاء المكان ومقاومته بإجراءات مواتية تخفف من حدته ريثما يصل الدفاع المدني الذي سيتولى عناء المقاومة بإمكاناتهم المتعددة القادرة على التدخل بقوة، فوضع الاستعداد المسبق في المنزل ليس صعبًا بل

هي مجرد جلسة مع أفراد العائلة وتدارس الوضع معهم من منطلق الحماية الذاتية، وهي لا تستغرق وقتًا طويلاً، بل مجرد جلسة من الجلسات العائلية لشرب الشاي أو مسامرة أسرية ترددها على المسامع تكرس فكرتها والتذكير بها بين فترة وأخرى يفيد جدًّا في استيعابها إذا ما حدث حريق يجني ثمارها الجميع؛ تجنبًا لمآسيه. فقط انظر إلى الموضوع بعين موضوعية، فالحياة غالية وأغلى ما فيها سلامتها.

لا تنظر بعين التصعيب، فالأمر لا يحتمل التعقيد، جرّب مرة وستجدها في غاية البساطة، لا تأخذك الروحة والجيئة، والخرجة والدخلة، والشغلة والفضوة، تتحجج بها، تصعِّب الأمور، فتقول: لستُ متخصصًا في أمور الحريق، فتنصب أمام ناظريك صعوبة؛ فتوقعك في فخ حريق مفاجيء عندها تكون الصعوبة الحقيقية حين تفاجئك على حين غرّة منك، تتمنى لو سنحتْ لك فرصة التفكير في سيناريو مكافحة الحريق.

وسنعرض لحادث حريق افتراضي في منزل تسكنه عائلة مكونة من: والدين، وخمسة أبناء { ثلاثة أولاد، وبنتين}. استمدينا تصوّره من واقع حوادث سابقة.

هبْ أن دارًا مكوّنة من دورين الأول مرافق استقبال الضيوف والمناسبات، والدور الثاني يحوي ست غرف نوم، وصالة معيشة، ومطبخ ومنافع مع ملحق فوق السطوح للخدم. ينفرد كل منهم بغرفة مستقلة بالإضافة إلى غرفة نوم رئيسية.

عندما يخلد الجميع للنوم مساء، فجأة قد يحدث تماس كهربائي في سلك الثلاجة المغروز في القابس (الفيش) الممتد من خلفها بحيث تحجب رؤيته بينما يظلَّ التماس يتصاعد بطريقة غير

ملحوظة بعد مرور ساعة أو أكثر على حسب شدته لامس ستارة النافذة التي سرعان ما اشتعلت لتنتقل النار إلى محتويات المطبخ حتى وصلت إلى الباب الخشبي، مخلفةً دخانًا وحرارة، كل هذا وأفراد الأسرة يغطُّون في نوم عميق، وكانت إحدى الغرف ملاصقة للمطبخ تقطنها إحدى البنات اللاتي شعرنَ باختناق، فانتبهت لتفاجأ بحرارة شديدة صادرة من المطبخ، عندما نهضت من سريرها فوجئت بدخان كثيف وحرارة شديدة ولهب، فانتابها رعب شديد، فصاحت مستغيثة مهرولة إلى الغرفة المجاورة التي ترقد فيها أختها لتوقظها، ثم إلى غرفة والديها التي تليها، قام الأب مفزوعًا والأم مرتعدة تبحث عن باقي الأولاد، والنار تضطرم والأمر يحتدم، وهم بين مصاب بصدمة ومنهار. تصوَّر حجم هذا الموقف، الحلول يجب أنْ تأتي عاجلة ومنسقة؛ ليقوم كلّ بدوره؛ لأن شخصًا واحدًا لا يمكن أن يقوم بكل ما هو مطلوب وبأولوياته؟ وعلى فرض حاول التصدي للحريق بمفرده ففي هذه الحالة يكون فاقدًا نسبة كبيرة من توازنه وتركيزه. من أين يبدأ ؟ وإنْ كانت امرأة فالأمر أشد ربكة وأكثر هلعًا.

إذن: التعويل هنا على الرجال من أفراد الأسرة الذين لم يخطر على بالهم قط أنْ يقعوا في موقف حرج كهذا، فإن لم يتم توزيع الأدوار ؛ ليقوم كلٌّ بدوره لاحتواء الموقف باستجابة سريعة أولية فاعلة موجبة، وإلا ستكون استجابة سالبة مرتبكة، سيتصرف كلٌّ منهم على حسب رؤيته وحالته النفسية؛ لأن الاستعداد المسبق غير متوفر عند أي منهم، مما يسمح بتصرفات عشوائية قد لا تخدم الموقف بل تزيده تعقيدًا، وتتعثر عملية التعامل وتتناثر التصرفات

فيزداد الأمر سوءًا، وفي هذه الحال ستتلف الأعصاب، وفقدانها يعني فقدان التحكم بطيش التصرفات.

وهذا يقودنا إلى أنه لو كانت قد حُدِّدت أدوارٌ لكل فرد في الأسرة لكان احتواء الموقف في منتهى البساطة، كأنْ يقوم الأب بدور الموجه، والابن الأول مسؤول عن قطع الكهرباء وإشعال مصابيح الرؤية {كشاف أو مصابيح تخزين كهربائي} والابن الثاني يهرع إلى استخدام طفاية حريق وإغلاق أسطوانات الغاز، والأب يقود بناته ووالدتهم إلى مكان آمن {منطقة تجمّع متفق عليها من قبل} هذا نموذج متصور لحادث حريق منزل، وعلى مثل هذا يمكن تصور حوادث مماثلة.

شَاهِدُنا هنا أن نتوقع حوادث حريق بمختلف أسبابها، وأحرج ظروفها، وأن مواجهتها تستلزم إيجاد توقع قوي لاحتمالاتها، وعلى رب الأسرة أنْ يضع في اعتباره أن حوادث الحريق إن حدثت فجأة فاحتواؤها لا يأتي بالصدفة. ولكي تحقق جودة المكافحة الفاعلة وسرعة استجابة تعطينا قدرة على تدارك الحدث، علينا أن نعرف: من أين يمكن أن يندلع حريق؟ وكيف نستطيع السيطرة عليه؟

والجواب على ذلك يأتي من خلال التنبؤ المبدئي باحتمالات وقوعه، وتحديد النقاط الساخنة في المنزل المرشحة أكثر من غيرها لاندلاع الحريق، وتحديد مصادرها وتوقع حدوثها، كالمطابخ حيث الطهي والكهرباء ومقابسها والسخانات وأدوات التدفئة وما ماثلها.

أما كيف تستطيع السيطرة عليها فيستلزم:

١- التحلي بقدر مناسب من رباطة الجأش، والبُعد عن العشوائية، والتصرف بعقلانية وسرعة كافية، وهذا يعني الاحتفاظ بحالة موازنة بين خطورة الموقف والتصرف السليم؛ للتعامل في الوهلة الأولى قبل أن يتفاقم.
٢- فصل التيار الكهربائي. أما في الليل فمن الأفضل أن تزود المنازل بمصابيح إضاءة احتياطية ؛ لأن الظلام قد يؤدي إلى الإرباك، وقد يزداد الأمر سوءًا.
٣- قفل أسطوانة الغاز، وإنْ أمكن إخراجها من موقع الحريق.
٤- فتح النوافذ للتهوية وطرد تسربات الغاز والأبخرة الناجمة عن الحريق مع ملاحظة أن الحريق قد يزداد بدخول الهواء وهو ما يجب وضعه في الحسبان.
٥- استخدام طفاية الحريق بأقصى سرعة، والاقتراب بها من بؤرة الحريق لإخماده.
٦- فتح الأبواب والمخارج الاحتياطية إن وجدت.
٧- في حالة انتشار الدخان وعمّ المنزل فالأفضل النزول إلى أسفل والزحف على الأرض أهون للتنفس من الأعلى .
٨-إغلاق الأبواب للاحتفاظ بقدر من الهواء النقي إذا سمح الوضع بذلك.

الأطفال وحوادث المنازل: أن من أنكأ حوادث المنازل تلك التي يكون الأطفال ضحيتها وكثير منها غير مبررة أسبابها، فاللامبالاة أبرزها. فلكي نحمي الأطفال فالأمر مُيسَّر إذا راعينا :

- ملاحظة عدم ترك الأطفال لوحدهم في المنزل.
- مراعاة إمكانية تغطية مقابس الكهرباء (الأفياش) بشريط لاصق؛ حتى لا يكون عُرضة لعبث الأطفال.

- ملاحظة الأطفال أثناء لعبهم، ففي المسبح يُراعى وضع احتياطات سلامته وقفله، وعدم السماح للأطفال بدخوله إلا بوجود كبير معهم، وكذا في حالة الاستحمام في المغطس {البانيو}.
- عدم ترك الأدوية والأدوات الخطرة في متناول الأطفال.
- عدم ترك مفاتيح أبواب الغرف فيها؛ حتى لا يفكر طفل في قفل الباب، وقد يتعذر عليه معرفة فتحه مرة أخرى.
- ملاحظة لعب الأطفال واختبار اللعبة المناسبة لعمره، ومدى أن تكون آمنة ، ولا تحتمل أيّ ضرر عليه.